ماعلاقة كيفن كوستنر باليمن ؟

وجدي الأهدل*

منذ أن شاهدت فيلم "الراقص مع الذئاب" بطولة كيفن كوستنر، وأنا أتتبع أفلام هذا الممثل والمخرج الأمريكي الفذ، كما قرأت كتابًا عنه، وهو بالمجمل فنان جاد، يختار أفلامه وأدواره بعناية فائقة، فهو انتقائي ولا يأخذ فيلمًا على عاتقه إلا إذا كان يحمل رسالة إنسانية عميقة.

آخر فيلم سينمائي شاهدته له كان بعنوان "دعه يذهب LET HIM GO" تأليف وإخراج توماس بيزوتشا، وبطولة دايان لاين وكيفن كوستنر وليزلي مانفيل.. وتاريخ عرض الفيلم يعود إلى عام 2020.

يتحدث الفيلم عن نقيب شرطة متقاعد وزوجته (آل بلاكيدج) فقدا ابنهما الوحيد في حادث غامض، أرملة ابنهما تزوجت من رجل آخر ورحلت معه، وبالطبع أخذت معها طفلها من زوجها السابق. الجدّان يشعران بالشوق لحفيدهما، يسافران إلى منطقة نائية في الغرب الأمريكي، ويتعرفان على عائلة (آل ويبويز) التي تترأسها امرأة عجوز متسلطة اسمها بلانش.

ظاهريًا يبدو الفيلم دراما اجتماعية محدودة النطاق، لكنني بالتدريج اكتشفت أن الفيلم يناقش واحدة من أكثر القضايا البشرية إثارة للجدل على مر التاريخ.. قضية الصراع بين الحضري والريفي، بين قيم المدينة وقيم القرية، بين الأفكار التقدمية والأفكار الرجعية، بين التيار المحافظ والتيار الحداثي.

الفيلم يكشف أن الأمة الأمريكية تنقسم إلى فئتين متمايزتين:

الأمريكي الريفي المحافظ الأبيض المعادي للمختلف عنه عرقيًا ودينيًا ولغويًا، والأمريكي المدني الحداثي الليبرالي المتقبل للأعراق الأخرى والثقافات الأجنبية.

تعود جذور هذا الانقسام في المجتمع الأمريكي إلى الحرب الأهلية الأمريكية (1861 – 1865)، إذ كانت الولايات الجنوبية التي أعلنت الانفصال عن الاتحاد تحمل عقلية عنصرية ضد السود والهنود الحمر والملونين، وذات تقاليد وأعراف متخلفة رجعية، بينما الولايات الشمالية على عكسها تمامًا، تبنت قانون تحرير العبيد، وذات سلوك مدني عصري، وقوانين عادلة لا تميز بين أبيض وأسود وغني وفقير.

صحيح أن الشمال هو الذي انتصر في الحرب، ولكن تحت السطح ما تزال تلك الروح القروية الانعزالية العنصرية حاضرة بقوة في المجتمع الأمريكي، ولعل دونالد ترامب هو نموذج فج وفاقع لهذه النفسية المتشبعة بالغرور والتعالي على الأجناس الأخرى.

(آل ويبوي) الريفيون لا يرون بأسًا في ضرب الرجال لزوجاتهم، وضرب الآباء لأبنائهم، بينما (آل بلاكيدج) المدنيون لا يستسيغون هذه المعاملة، ويبذلون قصارى جهدهم لإنقاذ حفيدهم من براثن عائلة (آل ويبوي).

هنا نلحظ صراعًا بين القيم الحضرية والقيم الريفية.. صحيح أن مؤلف ومخرج الفيلم لم يكن محايدًا، وأظهر انحيازًا للقيم المدنية، إنما هذه هي أيديولوجية المثقفين الأمريكان بصفة عامة، وهو توجه يشارك بوعي في التصدي للقيم الريفية الشعبوية، التي باتت تيارًا سياسيًا متعاظمًا، قد يؤدي في ذروته إلى انفصال عدة ولايات أمريكية عن الاتحاد.

يعاني المهاجرون العرب في السويد من قيام السلطات باقتحام بيوتهم، وانتزاع أطفالهم منهم بالقوة، وتربيتهم بعيدًا عنهم، والسبب أن الشرقي يرى أن استخدام أسلوب الضرب ضروري لتقويم سلوك الأبناء، بينما ينظر القانون السويدي إلى هذا العقاب البدني من زاوية مختلفة، وبناءً عليه يتم حرمان العائلات العربية التي تستخدم العنف ضد أطفالها من حق تربيتهم.

ما علاقة فيلم "دعه يذهب" باليمن؟، كما أسلفنا يبدو أن الحفيد الذي تتنازع عائلتان على كفالته، هو رمز عام لكل مجتمع بشري، بمعنى أن الحفيد هو المجتمع، وفي كل مجتمع قوتان تتصارعان للسيطرة عليه.

في اليمن لدينا صراع بين القيم المدنية والقيم القروية، علمًا أن هذا الصراع وفقًا لهذه الرؤية الاجتماعية غير منظور بالنسبة لـ 99% من اليمنيين.

إذا تأملنا الحرب الأهلية اليمنية عام 1994 التي انتهت بانتصار الشمال على الجنوب، سنلاحظ أن القيم القروية هي التي كُتب لها النصر على القيم المدنية، والدليل على صحة هذا الاستنتاج هو تعرض مدينة عدن للنهب والسلب

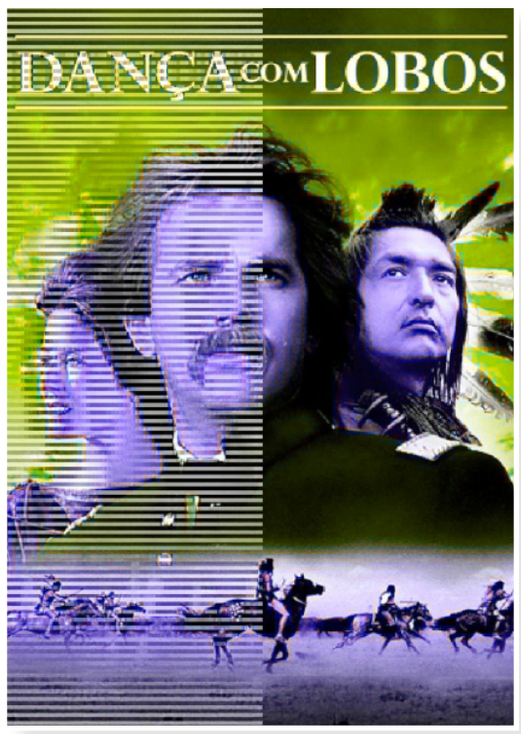

عقب انهيار القوات المدافعة عنها.

إذا نظرنا إلى المدن اليمنية اليوم، سنلاحظ ظاهرة زحف القيم القروية على المدن، وتراجع القيم المدنية.. المدينة اليمنية في عام 2024 لم تعد مدنية، فهي قروية في إدارة مؤسساتها ونوعية قوانينها.

صنعاء وعدن وتعز وسواها ليست الآن سوى كتل من المباني، وهي مدن من الناحية الإحصائية فقط، ولكن من حيث المعنى والمفهوم فهي تحمل سمات الريف ومعاييره التي لا تناسب ولا تتفق مع معايير المدينة.

بنى أجدادنا القدماء الأسوار حول المدن، ولم يكن الهدف حمايتها من غزو القبائل فقط، ولكن لأهداف كثيرة، منها إقامة حاجز مادي يُرى بالعين يفصل بين القيم المدنية والقيم القروية.

ومعلوم أنه في العصور القديمة وإلى عهد قريب، كانت لصنعاء القديمة أعراف وعادات وتقاليد خاصة بها، تميزها عن سائر الإقليم الريفي الذي يحيط بها، وأولها أن يضع القبيلي سلاحه إذا أراد دخول المدينة، وألا يطلب فيها ثأرًا، فهي حرم لا يحق له أن يصول فيه، وأن يمتثل لقوانين المدينة لا لأعراف القبيلة، وسوى ذلك مما يطول ذكره.

العقل القروي يناسب القرية، ولا يناسب المدينة، فهذه سنة الله التي سنها في الأرض، وأما عكس هذه السنة فكارثي، لأن العقل القروي يناقض فكرة المواطنة المتساوية، ويناهض العيش الجماعي المشترك، فهو يهدم أساسات الدولة دون أن يدرك جسامة الأفعال التي يقوم بها.

الدولة، أية دولة في العالم، تنشأ من المدينة، لا من الريف، وتستمد أسباب قوتها وتطورها من تطور المدينة، ولا تبدأ في التدهور إلا في حالة ترييف للمدينة.

عندما هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى يثرب سماها "المدينة"، والتسمية ليست اعتباطية، ولكن لأنه أراد تأسيس دولة.

تمكن العباسيون من إسقاط الدولة الأموية، ولكي يؤسسوا دولة جديدة كان لابد لهم من تأسيس مدينة من الصفر تشكل القاعدة المتينة للدولة، فأسسوا مدينة بغداد التي صارت لاحقًا عاصمة العالم.

بغداد في العصر العباسي هي نموذج للمدينة الإسلامية التي تحققت فيها المواطنة المتساوية والعيش المشترك، فعاش فيها المسلم والمسيحي واليهودي والمجوسي وديانات أخرى متجاورين في السكن والأسواق، وهاجر إليها للعمل والتجارة وطلب العلم طيف واسع من سائر الأمم التي شملها الحكم الإسلامي، وحتى تلك التي لم يشملها.

يقدم المفكر الإسلامي محمد شحرور تفسيرًا وجيهًا للفرق بين كلمتي المدينة والقرية في القرآن الكريم، فيطرح أن معنى القرية أي تلك التي تخلو من التعددية الدينية والعرقية والثقافية، وعكسها المدينة التي تمتزج فيها الأديان والأعراق والثقافات.. وهذا التمييز القرآني بين المدينة والقرية متقدم جدًا حتى بالنسبة لعصرنا الحالي، فعلماء الجغرافيا يحددون الفرق بين المدينة والقرية رقميًا، أي بعدد السكان، ولكن وفقًا لشحرور فإن القرآن يميز بين المدينة والقرية ثقافيًا، أي بتعدد وتنوع السكان.

وفقًا لهذا المنظور المذهل المستمد من القرآن الكريم، فإن أيّ تجمع سكاني يخلو من التعدد والتنوع يصنف كقرية، ولو ناهز عدد السكان العشرين مليونًا.

بلادنا اليوم تخلو من المدن، وما هو موجود على الخريطة مجرد قرى مكتظة بالسكان.. وفهم هذه الحقيقة يؤدي بنا إلى فهم سبب ضعف الدولة وتمزقها إلى دويلات.

---

* روائي وكاتب يمني

نص

إليه

عائشة المحرابي

تسألني عنكَ جفونُ الليل
ومرافئه الظامئةُ إلى همساتِك
يسألني عنك بنُّ الصباحِ وحليبُه الدافئ
فيتسلل الجليدُ في مفاصلِ الأيام
ويتراكم الغبارُ في نبضِ الثواني
فتتشابه اللحظاتُ والوجوهُ والفصول
وتنامُ اللهفةُ على مخدةِ الاشواق
تتساقطُ أوراقُ العمرِ في ساحة الانتظار
أين بسمةُ الحبِّ حين اللقاء ؟!
وكيف أصبحت وجوهُنا بلا شفاه
كيف للأملِ المتشجرِ في أهدابنا أن يذبل
وكيف لمرايا الحياةِ أن يكسوها الشحوب!
متجذرٌ أنت في تلالِ الروح
ومشرقٌ كشمسِ بلادي
فمتى ينهمرُ اللقاءُ غيثا
وتأتلقُ العيونُ شغفا
وتغرقُ النجماتُ في نهر النبض
حينها أقولُ للأيام:
حان لأناملِ الصبابةِ أن تداعبَ ملهمها
وأن يغرقَ وجهُ الصباحِ في عينيك..

مرثية

إلى الصديق العزيز الراحل الفنان التشكيلي أحمد عبدالعزيز*

أمين المَيْسَري

(ذهب الّذين أُحبُّهم....
وبقيتُ مثلَ السيفِ فردا)
(عمرو بن معد يكرب الزبيدي)

مضيتَ وحيداً
في انتظار
اللاشيء
واللامرئي
ريشتُكَ الّتي تصبّبت
عرقاً
كَحَلْتَ بها عيونَ
الفقراء
والبسطَاءْ
ريشتُكَ الّتي حملتها
في مآقيكَ
كانت غذاءكَ اليومي
وحيداً مضيتَ
في صومعتك

تبتهلُ..
نشيدَ الحزنِ الّذي لم
يغادر البلادْ
تبتهلُ..

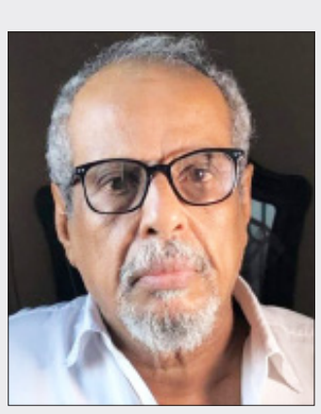

بكاءَ الثّكالى
والشّوارعِ والأزقّةِ
العدنيّةْ
وحيداً مضيتَ
بين التكعيبيّةْ
والرقميّةْ
مطرٌ من الألوان
وملامحُ من الوجوه
المتعبة
تبحثُ عن كسرة خبزٍ
وسراج ليلي
وشربةَ ماءْ
ريشتُكَ..
كانت براءتك اليوميّةْ
ريشتك..
سؤالٌ للحداثةْ
وما بعد الحداثةْ
ريشتُكَ.. تغادرنا
ولكنّ حزنكَ
لم يغادرنا.

9مايو2024م

هامش:
الفنان أحمد عبدالعزيز (1954م – 8مايو2024م) رحل فجأة.

الإعلامي المخضرم عبدالرحمن بن عبدالله بن طاهر الحداد

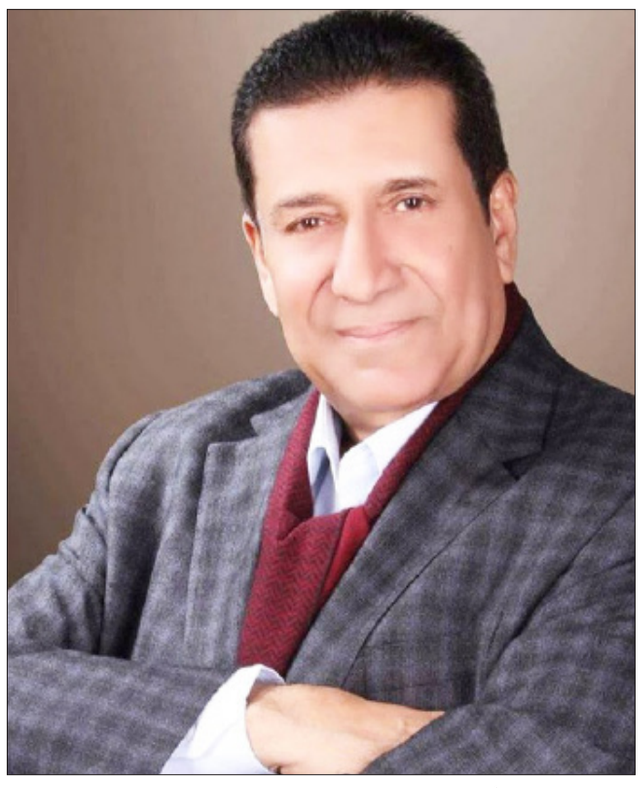

شخصية أعلامية وفنية حظيت بمكانة متميزة في عالم الفن والغناء، ومع ذلك فقد خاض ميادين الاعلام والثقافة. صال في سواحلها، فأبدع واجاد.. نسمعه من خلال نشرات الاخبار وتقديم البرامج في اذاعتنا اليمنية " المسموعة والمرئية ".

وفي الأخرى يشجينا هذا الصوت بنبراته الجميلة، والحانه العذبه، واختياراته الذكية، ذلك عندما نسمعه مطربا أنيقا، وفنانا مميزا.

عبدالرحمن الحداد من مواليد مدينة المكلا عاصمة حضرموت ينحدر من سلالة دينية طيبة فوالده العلامة والداعية المعروف الامام / عبدالله بن طاهر الحداد احد ابرز علماء حضرموت في عصره.

أيضا عمه الامام والمؤرخ الشهير السيد / علوي بن طاهر الحداد صاحب المؤلفات العظيمة والمتعددة ومنها ما يختص بتاريخ حضرموت ومن اشهرها " الشامل في تاريخ مدن ومخاليف حضرموت " وقد تولى الإفتاء بمدينة جوهور في ماليزيا وتوفي بها وله معاهد كثيرة في دولة ماليزيا وسنغافورا ولاتزال آثارها باقية الى عصرنا الحاضر.

تزوج الامام السيد / عبدالله بن طاهر الحداد من والدة الفنان عبدالرحمن وقد بلغ قرابة السبعين من عمره وهي ابنة الشيخ العالم المكي / سعيد جان الذي قدم من رحاب مكة المكرمة واستقر بمدينة المكلا.

انجبت للسيد عبدالله من الذكور محسن وعبدالرحمن وبنات أخريات.

توفي رحمه الله ولايزال عبدالرحمن في السنوات الاولى من عمره المديد بإذن الله. علما أن الاصول تعود الى مدينة قيدون أحدى كبريات مدن وادي دوعن.

نشأ هذا الشاب في مدينة المكلا والتحق بمدارسها الابتدائية فالمتوسطة والثانوية لينهل من العلوم والمعارف ما يؤهله الى السفر الى دولة العراق ليكمل دراساته العليا في مجال الاعلام والثقافة في جامعة بغداد كلية العلوم العربية.

عندما تخرج بتفوق وامتياز عاد الى مدينة المكلا وتم تعيينه في اذاعة المكلا في فترة تجريبية استمرت ستة أشهر.

موهبة هذا الشاب وابداعاته في هذا المجال كانت خير عون له في الانتقال الى مدينة عدن ليواكب المسيرة الاعلامية بتعيينه في إذاعة عدن المسموعة والمرئية.

كل يمني عرف هذا الفنان عبدالرحمن الحداد مطربا مبدعا، وهرما شامخا يمتلك قدرات كبيرة في مجال الفن والغناء فصوته شجي، وأداؤه رائع، ونبراته متميزة.

حملة صندوق صيانة الطرق لضبط الأوزان تأتي لايقاف
تداعياتها الخطيرة على سلامة الطرق ومرتاديها

صندوق صيانة الطرق
Roads Maintenance Fund
المركز الرئيسي - العاصمة عدن
RMFYemen1